

عائد من الظلام

بِقلم / أحلام النضر

قِصَّةٌ مَثَلٌ لَوَاحِدَةٍ مِنْ جَرَائِمِ الصَّليبِ

مؤسسة
أوارالحق



عائد من الظلام!

-الحلقة الرابعة والثلاثون-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قصة:

عائد من الظلام!

- الحلقة الرابعة والثلاثون -

بقلم:

أحلام_النصر

(قصة مثل لواحدة من جرائم الصليب)

قناة_مؤسسة_أوار_الحق



في مكان ما تحت الأرض؛

كان الضابط "إدوارد" يمشي في الدهليز الطويل، وصوت خطوات حذائه الضخم يعطي طابعًا مليئًا بالرعب والصدى.

اقترب من الزنانة، فزفر بضيق، بينما ضرب له السجنانون التحية المعتادة، أشار بأطراف أصابعه دون اكتراث؛ ففتحوا له الباب فورًا، وفي الداخل: كان ثمة شخص مثبت إلى الجدار، وقد تخضب جسده بالدماء، وتلوّنت فيه مواضع عدة من أثر التعذيب، وتدلى رأسه جانبًا من الإغماء، وبالقرب منه اثنان من الجلاوزة، اعتدلا وضربا التحية للضابط، الذي أشار إلى السجين وقال:

- أيقظاه!

سارع الاثنان بقذف ماء الدلو على وجه السجين، الذي شهق واستعاد وعيه، إلا أنه فتح عينيه ببطء وجهد، ومن خلال رؤية مشوشة: لمح وجه الضابط الخنزير، وقال "إدوارد" بجمود قاس:

- إلى متى تعابثنا يا "جهاد"؟! لقد تحققتُ من أن كل ما أدليت به من معلومات كان كذبًا محضًا!

قال "جهاد" بصعوبة، وهو يتصنّع الدهشة:

- ك.. كيف ذلك؟! إنني...

رفع "إدوارد" يده مقاطعًا، وقال بغضب:

- كف عن المراوغة! لقد كنت كاذبًا وأضعت وقتنا بلا جدوى!

ابتسم السجين ساخرًا، وقال بتحدٍّ محاولاً السيطرة على إنهاكه:

- .. هل .. كنت تنتظر مني .. غير ذلك .. أيها الصل .. يي؟!!

زجر "إدوارد":

- لست في حال تسمح لك بالتحدي أيها العنيد!

قال "جهاد" ساخرًا:

- هه! من .. ال .. جيد أنك .. تلاحظ .. خرقكم .. لِمَا .. تسمّونه .. بحقوق .. الإنسان!

اشتد احتقان وجه "إدوارد"، وقال:

- اسمعني! أريد المعلومات الصحيحة عن تلك المخططات وعمن يساعدك فيها، وفورًا!

وتابع بغیظ:

- أنا لا أتوسل إليك! لو أننا وجدنا مسودّات عملك لَسَحَقْتِكَ منذ زمن!

ثم هدر وهو يرفع سبابته بتهديد:

- إنك أمام خيارين يا إرهابي! إما نعيم طاعتنا، وإما نار محاربتنا التي ستحرقك وتقضي عليك!!

ابتسم "جهاد" ساخرًا، وقال:

- ما دامت .. نيران محاربتكم .. ستوصلني إلى .. جنة الرحمن؛ فإنني .. أختارها طبعًا!

حاول "إدوارد" السيطرة على غضبه، فقال ساخراً وهو يدس يديه في جيبي بنطاله:

- لو كنت مكانك لفكرت قليلاً!

- هه! كلانا يعرف.. جيداً.. أنك.. لست.. في مكاني!

وتجههم وجهه، وتابع بجدية وهو يحدج "إدوارد" بنظرات مخيفة رغم إجهاده:

- لا تقارن.. نفسك بي.. يا هذا الخنزير!! أنا.. أنا مسلم!

فقد "إدوارد" أعصابه، وقال:

- إنك لا تفهم! أنت لن تخرج من هنا أبداً! إنك تحت الأرض! حتى الشياطين لن تعرف مكانك!
وستموت ألف مرة قبل أن تموت!

وتابع متهكماً:

- أساساً من يهتم بك أنت وأمثالك؟! أغلب الناس ضدكم!

ضحك المجاهد بوهن بسبب آلامه، ثم قال بثقة:

- نحن.. لا نحتاج.. لأحد أصلاً، يكفيننا.. رب العالمين، و.. حسبنا.. أننا.. نطيعه، وأنتم.. خدعتم.. هؤلاء.. المساكين.. الغافلين.

وتابع وهو يحدج الضابط بنظرات كلها تحدٍ واحتقار:

- ثم.. إنكم أنتم.. الذين تحتاجون.. إلى التأييد.. وجمع الأصوات؛ لأنكم.. ضعفاء بأنفسكم وبالباطل.. الذي تعبدونه.. من.. دون الله تعالى، إضافة إلى.. أن أغلب.. الناس معكم.. بسبب أكاذيبكم.. من.. جهة، و.. سياسة: "أنتم.. جوعى.. ونحن سييلكم الوحيد.. للمال والاستقرار" من.. جهة أخرى!

اشتد غيظ الضابط من صفعات الحقيقة الموجهة، وصرخ وهو يحاول عدم إظهار ضعفه:
- حتى إلهك الذي تظن أنك تتقرب إليه بعنادك! تخلى عنك هو أيضاً! وتركك تقاسي العذاب!!

زجر "جهاد" برغم تعبته:

- خست يا.. صليبي! وتأدب حين.. تتكلم.. عن الله.. عز وجل!!

- ولماذا لا ينقذك مما أنت فيه؟!

هامت روح "جهاد" في سماء السمو وحب الله تعالى؛ فراح يتكلم وعيناه تنبضان بالثقة والطمأنينة:
- أنت.. لا تفهم! إنني.. مجرد.. عبد لله العظيم، وخادم.. لدينه.. الحنيف، لا يمكنني.. أن أقترح على ربي.. ولا أن.. أناقش قضاءه، أدعوه.. نعم.. لكنني.. أحده أن.. أعاني.. على.. تقبل ما.. يقضيه.. بروح.. مطم.. ثمة، و.. نفس.. راضية.

واخضلت عيناه بالدموع وهو يتابع:

- إنني فقط.. أرجو أن.. يكون هو.. راضياً.. عني، متقبلاً لعملتي، وأن.. يحبني.. ويدخلني.. جنته.

كان الكل يستمعون إليه كالمسحورين، أو كأنما تم تنويعهم مغناطيسيًا، وإذ شعر "إدوارد" بأنه والجميع مأخوذون بكلامه؛ فقد نفذ رأسه بعنف، وصرخ كالجنون:

- سيكون هدي من تعذيبك من الآن فصاعدًا أن تصبح كافرًا بربك هذا!!

وانتزع نفسه بعنف، ومضى خارجًا، بينما صدى أنين السجين يلاحقه قائلاً:

- هؤلاء.. أنتم، وتلك.. هي.. رسالتكم: تدعون.. الناس.. إلى.. النار، و.. تحاربوننا.. لأننا.. ندعوهم.. إلى الذ.. جاة!

(٨٩)

انتظر "بونبرت" حتى خرج القساوسة من مكتب "ألفرد"، بعد أن ناقشوا معه التحضيرات النهائية للامتحان الكبير، ثم مال عليه هامسًا:

- إذن ماذا ستصنع بخصوص "ألبرت"؟

كان "ألفرد" قد أشعل سيجارة، فسحب منها نفسًا باستمتاع، ثم قال متهكمًا:

- انتظر فقط، واستمتع معي بمشاهدة ما سيجري.

ونظر إليه ثم تابع واثقًا، وهو يشير بأصابعه:

- وسترى كيف سيكون خاتمًا في إصبعي أكثر من السابق.

حدق فيه "بونبرت" قليلاً، ثم ابتسم وقال:

- لا شك عندي في خبثك أيها العجوز!

وضحكا معاً، ثم عادا لمناقشة الترتيبات وأمور المعسكر، وبينما هما كذلك؛ إذ طُرق عليهما الباب بلهفة وسرعة، فنظر "ألفرد" إلى "بونبرت" نظرة ذات معنى، ثم قال باستخفاف:

- ادخل!

دخل أحد الطلاب مفزوعاً، ثم قال لاهئاً:

- سيدي سيدي! لقد أرسلت الشرطة من القرية المجاورة في مقابلتك على وجه السرعة!

نفض "ألفرد" وقال بهدوء وأريحية، وابتسامة الخبث المعتادة على وجهه:

- حسن، أنا قادم.

قال "بونبرت":

- سآتي معك.

قال "ألفرد":

- لا بأس أبداً؛ لتكون شاهداً على نجاحي الصغير الجديد!

وفي مكتب رئيس الشرطة؛ جلس "ألفرد" واضعًا ساقًا فوق أخرى، بثقةٍ استغريها منه الضابط، ثم حبّد أن يلج في الموضوع مباشرة فقال:

- إن مما يؤسفني أن شبابًا من معسكركم قد تورطوا في بيع بعض الممنوعات، ودون أي ترخيص! وقد طلبوك بالاسم يا سيادة القس "ألفرد"؛ لذلك قمنا باستدعائك؛ حتى نعرف مدى علاقتك بالأمر!

قال "ألفرد" بملل ممتعضًا:

- وأي علاقة ستكون لي؟! لقد اعتاد هؤلاء الحمقى الصغار على اعتباري منقذهم من كل مشكلة، وأباهم الروحيّ في الحياة.

صمت الضابط متأملًا، وهو يتفّرّس في "ألفرد"، ثم قال:

- عمومًا؛ سأستدعيهم لك.

أشار "ألفرد" بيده باستخفاف وقال:

- افعل.

إلا أنه اعتدل في جلسته، وبدا متفاجئًا جدًّا حين رأى ضابطَيْن يدخلان بـ "رافي" شيء الخاص مكبّلاً، وشابَّين آخَرَيْن، ومن ورائهم "ألبرت" الذي يحدج "ألفرد" بنظرات سامة تقطر بغضًا!

نَقَّل "ألفرد" نظراته المذهولة بينهم وبين الضابط، ثم صرخ بغضب:

- ما الذي يجري بالضبط؟

شيك الضابط يديه، وقال بعملية:

- كما ترى يا سيادة القس؛ هذا الأسود سلّم هذين الشابين البضاعة الممنوعة، وحين أمسكناه متلبّسًا قال إنه شيئك الخاص، وإنها أوامرك الخاصة أيضًا! فما قولك؟!

تلجلج "ألفرد" قليلًا وأرتج عليه، ثم سأل وهو يشير بإصبع مرتجف نحو "ألبرت" محاولًا تمالك نفسه:

- و.. وماذا عن هذا؟

نفض الضابط من على كرسيه، واتجه إلى "ألبرت"، ووضع يده على كتفه مبتسمًا وقال:

- إنه البطل الذي أخبرنا عن الأمر كله!

تبادل "ألفرد" و"ألبرت" نظرات ذات معان كثيرة، ثم زفر "ألفرد" وطلب من الضابط أن يصرف الجميع، وحين خرجوا وعاد الضابط إلى مكانه؛ قال "ألفرد" للقس "بونبرت" الذي يكاد التشوّق يقتله لمزيد من المعلومات:

- انتظر معهم يا "بونبرت".

تنهد "بونبرت" بخيبة أمل ثم انصرف، وعندها مال الضابط برأسه نحو "ألفرد" غاضبًا:

- والآن أخبرني بأي شيء قصّرنا معك يا سيادة القس حتى تلعب من وراء ظهورنا؟!!

ورفع سبابته في وجهه وتابع:

- أنت تعرف أنك تأخذ دائمًا ما تطلب، وأنا نعاونك في كل شيء، لكنك تعرف أيضًا أنني أكره جدًّا مرور شيء في منطقتي وتحت أنفي دون علمي، بالأحرى: بدون أن أستفيد وأخذ حصتي منه!!

تنهد "ألفرد" وهو يلعن "ألبرت" في سره، ثم قال:

- اهدأ يا حضرة الضابط؛ في الأمر كله سوء فهم، لم أكن أريد تسليماً فعلياً، بل كنت أخطط أن تعرفوا كل شيء، أم لعلك نسيت أنني طلبت منك في نفس الليلة أن تفتحوا أعينكم جيداً؟

قال الضابط متحيراً:

- صحيح، وقلت إن التفاصيل ستأتي لاحقاً، ولكننا تلقينا الإفادة بالمعلومات من ذلك الشاب.

قال "ألفرد" بعتاب ساخر:

- ولهذا ظننت أنني أتلاعب بك!

وتابع بغیظ:

- كنت أخطط أن يكون الممسوك شيئاً خاصاً لِقِسِّ آخر؛ حتى أهده وأضغط عليه، ولكن الغبي "ألبرت" جاء بشيئي الخاص أنا!

تساءل الضابط مستغرباً:

- أي أن "ألبرت" يعرف بأن الموضوع مدبر؟!

عاد "ألفرد" ولعن "ألبرت" في سره، ثم قال:

- طبعاً، وإلا فمن أين له بالمعلومات؟ أم تظن أن بإمكانه مغادرة المعسكر وقتما يحلو له، والتسكع في شوارع السوق السوداء بالذات، وسماع ما يتعلق بتلك العملية خاصة؟! ألا تجد الأمر خيالياً نوعاً ما؟

أحنى الضابط رأسه باقتناع، ثم قال مبتسمًا:

- المهم أنني اطمأنتُ إلى أن حبل الود والتعاون ما زال موصولًا بيننا يا سيادة القس!

قال "ألفرد" ساخرًا:

- انتبه عليه إذا يا عزيزي!

ونُفضَّ أمرًا بغطرسة:

- والآن أُخلِّ سبيلَ الأحمقِين اللذين يَخْصَّان معسكري بسرعة!

- حسن، وماذا عن الشائين الآخرين؟

قال "ألفرد" وقد ولاه ظهره متجهًا إلى الباب:

- افعل بهما ما يحلو لك؛ لقد كنت أريد التخلص منهما على كل حال!

ابتسم الضابط بفهم، ثم قال:

- دع لي هذا؛ فإنه عملي!

وحين صار الشابتان والقس "بونبرت" والقس "ألفرد" في مكتب هذا الأخير؛ همس "ألفرد" بهدوء

عاصف:

- أغلق الباب يا "ألبرت".

أطاع "ألبرت" دون اكتراث، ودون أن تتغير ملامحه الجادة المقطّبة، أما "ألفرد"؛ فما أن سمع انغلاق الباب حتى التفت بسرعة وغضب نحو شيء الخاص، وأمسك بخنقه صارخًا بجنون:

- كيف تخرج من المعسكر دون إذني وعلمي يا حشري الغبية؟! تكلم!!!

كان "رافي" يحاول ابتلاع ريقه، وعيناه الخائفتان تحدقان في عيني القس الغاضبتين، وأخيرًا وجد صوته فقال بارتعاش:

- "أل.. ألبرت" أخبرني أنها أوامرك!

هزه "ألفرد" بعنف أكبر، ثم صرخ:

- ولم تستطع القدوم إليّ لتوثق من صحة ذلك؟!

- إنني.. آسف لهذا يا.. سيدي!

- بالطبع ستكون آسفًا أيها الغبي!! لقد كدت تجلب لي مشكلة ونحن على أعتاب الامتحان الكبير!!

وهنا تفتن "ألفرد" لهذه النقطة، فترك تلايب شيء الخاص باشمزاز وكأنه يرمي قمامة، ثم صرخ فيه:

- لم ينته الأمر بعد! ولن يمرّ دون عقاب! ولكن اغرب الآن عن وجهي! ولا تتنفس إلا بإذني! من

حسن حظك فعلاً أنني أعرف كيف أدبر نفسي وأخلصها من كل مشكلة!

ونظر "ألفرد" باتجاه "ألبرت" نظرة ذات معنى، فأشاح هذا الأخير بوجهه الغاضب بعيداً، بينما همهم
"راي" برعب، وقد خفض رأسه للأرض بتدلل:

- أ.. أمرك يا سيدي.

وانصرف بسرعة، وتعثر وهو يغلق الباب خلفه، وهنا اتجه "ألفرد" نحو "ألبرت" الذي كان قد كتّف يديه
بتحد، وقال:

- والآن يا "ألبرت"؛ هل لك أن...

قاطع "ألبرت" بسرعة:

- هل لك أنت يا سيدي أن تكشف لي عن السبب الذي دفعك لمحاولة توريطي!!؟

وأمام دهشة "ألفرد" تابع "ألبرت":

- دعني أحمّن؛ لقد صرّ خطراً عليك! صرّ أعرف الكثير عن أسرارك أنت وبقيّة القساوسة! ولهذا
تريد التخلص مني، أو ترويضني على الأقل! لكن فاتك أنني لسّْتُ بهذا الغباء الذي تظّنه! نعم.. أنا
تحدّثُ إلى "راي" بالذات لأنه شيءك الخاص المفضل والمرشّح للمسابقة، وخدعته بأنّها أوامرك، وتسللنا
وأخذته معي، وتركته يسلم البضاعة بدلاً عني؛ لتعتقله الشرطة بدلاً عني كذلك!!

حاول "ألفرد" أن يتكلم، لكن "ألبرت" سبقه هاتفاً من بين أسنانه:

- أليس هذا ما كنتَ ترومه بالضبط!!؟

وتنهّد ثم تابع بحزن:

- الطريقة الوحيدة أمامك يا سيدي كيلا أكون خطرًا عليك: هي ألا تمارس أنت دورَ الخطر عليّ! وألا تحاول تهديد مستقبلي! اتركني وشأني!!

وخرج بخطوات واثقة، واتجه إلى غرفته، وما أن أغلق الباب حتى استند بمرفقه ورأسه عليه، وهو يتنهد بانفعال وألم؛ لم يكن هذا ما يتوقعه من القساوسة، لم يكن هذا ما يشاهددهم عليه في التلفاز ولا ما يسمعه عنهم من الكبار المخدوعين أو الخادعين ربما!!

حين كان طفلًا؛ كان يرى وجوههم البشوش، وعيونهم المسبلة بمسكنة ولطف، لم يكن يدري وقتها أن كل ذلك مجرد قناع يخفي حقيقة خبثهم ومكرهم!! لم يجلُ بخاطره أنهم أخبث وأقدر وأفجر خلق الله، بل والمسؤولون عن جرائم بقية الخبثاء والفجرة الآخرين!

ووضع يده على صدره متفكرًا: هل تسلل الندم إلى قلبه لسلوك هذا النفق المظلم معهم؟ وإن كان كذلك؛ فما هو سبيل النجاة منهم؟ وما هو البديل عنهم؟ والآن بعد كل الأشواط التي قطعها، وكل ما وصل إليه!

واستلقى على سريره بكامل ثيابه، عاقدًا ذراعيه خلف رأسه، ناظرًا إلى السقف، وتابع مع أفكاره: أم لعله غاضب الآن لحداثة الموضوع ووطأة الصدمة، ولا يجدر به أن يأخذ قرارًا متسرّعًا؟ لماذا لا يصنع مثلهم ويفتش عن مصلحته وحسب؟

وابتسم ساخرًا وهو يتقلب؛ إذ إن شقّ طريقٍ لمصلحته بينهم يشبه تمامًا محاولة بناء بيت في حقل ألغام، وبين الأفاعي والعقارب!

وزفر بيأس، وقرر إرجاء التفكير، عازمًا على تحاشي "ألفرد" قدر ما يستطيع؛ عساه يتيقن أنه -أي: "ألبرت" - لا يريد سوى العيش والنجاح بسلام.

أما "ألفرد"؛ فإنه كان غاضبًا ذاهلًا، لا يستطيع غروزه تصديق فشله، وقد نسي تمامًا وجود "بونبرت" الذي كان يرمقه بتشفٍ وشماتة، متذكرًا ما جرى بالأمس القريب؛

فبعد أن حرّض "ألفرد" على "ألبرت"؛ خرج من عنده متجهًا إلى "ألبرت"، وأوصاه بالحذر من "ألفرد"، وقال له:

- ...وسيتطلب منك أمرًا ما، لا أعرفه، فإذا طلبه فاحذر، وحاول بكل الطرق أن تتصل منه، وإن استطعت قلب الأمر عليه فافعل.

حدّجه "ألبرت" بنظرة مصدومة، ثم بأخرى طويلة متسائلة، وأخيرًا قال:

- ولماذا تخبرني بذلك يا سيدي؟ بالتأكيد ليس حرصًا عليّ!

ضحك "بونبرت" وقال باستحسان:

- أنت فعلاً صرتَ تفهمنا يا "ألبرت"!

غمغم "ألبرت" بعبوس:

- أجب على سُؤالي من فضلك!

تنهد "بونبرت"، ثم قال:

- كلانا يكره "ألفرد"، ألا يكفي هذا؟

رد "ألبرت":

- في الوقت الحاضر: نعم!

وأخيراً أفاق "ألبرد" من شروده، فأفاق "بونبرت" أيضاً، واستمع إلى الجملة التي توقعها من "ألبرد"؛
يقولها هذا الأخير بصوت خفيض مصدوم:

- لا تتحدث مع أحد حول ما جرى، ولا حتى معي أنا!

هنز "بونبرت" رأسه ساخرًا، ثم انصرف سعيدًا بأنه استطاع أخيرًا أن ينال ولو قليلًا من "ألبرد"، وإذا ما
تفكّر فيما جرى جيدًا؛ فهو بالتأكيد قد ضرب أكثر من عصفور بحجر واحد!

(٩٠)

- استعد! حدّد وجهتك! تحقق من وجود هدفك في مرمى رميك! الآن.. أطلق!

كلمات كان يسمعها "محمد" من القساوسة؛ فيرتجف ذعرًا وحيرة، ثم يتهاوى كالقراش المتهافت على
النار، أما الآن؛ فإنه في أول مهمة يقصدها مع إخوانه بعد اكتمال تدريباته: فإنه يشعر بالثقة والقوة
واليقين؛ ولذلك فقد أمسك بندقيته جيدًا، وهتف:

- باسم الله! {وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى}!

وسقط خنزير آخر على الأرض مضرجًا بدمائه النجسة، وراح الإخوة يمشطون المنطقة للتوثق من تحقق
جميع أهداف العملية، ثم جمعوا الغنائم ليتولى أميرهم أمرها بعد عودتهم، والتفّوا حول "محمد" مهتئين
مشجعين، كان "أحمد" يذرف دموع التأثر والفرحة، وهو يرى أخاه بجانبه؛ قد جمعت بينهم رابطة

العقيدة بما يفوق دماء النسب، وهو ذا معه في درب الحق مجاهدًا قويًا رشيدًا، أفلا يبكي من الفرح؟
لظالما بكاه حزنًا وشوقًا، وخوفًا من مصيره المجهول: أميَّت يرثيه؟ أم صليبي يعاديه؟ فسبحان الله!

وكان الأمير يراقب تدريبات إخوانه الذين كانوا تحت توجيه المجاهد "عمر"، وهو مشغول البال في الوقت نفسه بأمرين اثنين؛

أما الأول: فقد أرسل بعض إخوانه في مهمة، ومعهم "محمد"؛ لتكون هذه أول مرة يشارك فيها، وقد تعمّد الأمير إرساله على سبيل التدريب العملي قبيل غزوة الامتحان الكبير، ودعا له كثيرًا أن يكون على قدر الاستعداد والقدرة في التنفيذ، وأوصى به شقيقه "أحمد" الذي كان حماسه لمشاركة أخيه يضاھي حماس أخيه نفسه إن لم يكن أكثر.

وأما الأمر الثاني؛ فقد كان الأمير ينتظر المثلث ليطمئن.

واقترب "عروة" من الأمير هامسًا:

- الليلة أخي الأمير.

هز الأمير رأسه قائلاً:

- حسن، جيد، بارك الله فيك.

- وفيك بارك الله أخي الأمير.

ومع اقتراب الغروب؛ عاد الأبطال سالمين، وتهلل وجه الأمير فرحًا وهو يرى "محمدًا" على ما يرام،
منطلقًا سعيدًا بتجربته الجهادية الأولى، وراح "محمد" يتكلم بحماس:

- لا أخفيكم أنني كنت متوترًا في البداية، وأخشى من الفشل، تتراءى أمامي نوبات الإغماء التي كنت أعانيها في المعسكر الكتيب إياه، ولكن سبحان الله! قتل الكفرة مختلف تمامًا عن قتل الأطفال الأبرياء! كنت أرى خصمي يعدو ويتحرك أمامي؛ فلا أبصر فيه إلا شيطانًا يستحق الرجم، وسرطانًا لا بد من استئصاله، وهكذا وجدت نفسي أكبر ثم أسدّد ثم أطلق، وأصيبه بتوفيق الله تعالى في مقتل! هيه.. كان السكّير العجوز "مارك" سيجنّ فرحًا لو أنني أطلقت مرة على هدفه! لم أظن أنني سأنجح اليوم، ولكنه فضل الله سبحانه أن وفقني لتخليص الأرض من كافر خنزير آخر!

وكوّز قبضته، وهدر متحمسًا:

- عقيبى عندك يا "مارك"! عقيبى عندك يا "مارك"!

ربت الأمير على كتف "محمد" مشجعًا، وقال له:

- أحسنت يا أخي، لقد خضت التجربة بنجاح والله تعالى الحمد على توفيقه لك.

وتابع بغموض:

- استمروا جميعًا في التدريبات، واعلموا أن لكم موعدًا قريبًا مع مهمة كبرى وسامية بإذن الله تعالى.

هز المجاهدون رؤوسهم بحماس، وكان "محمد" يخمّن، إلا أنه لم يسأل ولم يتكلم، وجيب قلبه يضطرم في صدره، ومشاعره يحار الكلام في وصفها فيطأطئ بعجز، أمر واحد كان واثقًا منه تمامًا: أن الله العظيم الذي أنقذه من براثن الكفر: سيقرّ برحمته عينيه بما يثلج قلبه ويسرّ خاطره.

واجتمع المثلثم بالأمير، كان يبدو على المثلثم التركيز الشديد، تنطق به عيناه الشبيهتان في التحقّز بعيني صقر متوثّب، وسأله الأمير:

- إذا فلا سبيل أمامنا ولا فرصة إلا في ذلك اليوم نفسه؟

هز المثلثم رأسه، وقال موضحًا:

- ليس بالضبط؛ إنني ما أزال أحاول ترتيب حادثة سابقة للموعد، لكن كخطوة بديلة: سنضع في اعتبارنا أن الهجوم عليه قد يكون في ذلك الموعد.

قال الأمير:

- المشكلة ليست هنا؛ فنحن سنقتله بإذن الله تعالى في ذلك اليوم على أية حال، لكن نريد ما عنده أولاً، وهذا لا يتأتى إلا بخطة تجعله يدلي بما لديه، وبعدها سيكون غير ذي فائدة لنا، ولا بأس أن ينضم إلى قطيع الدجاج المشوي في الموعد إياه.

تنهد المثلثم وقال:

- ما أزال أفكر في هذا، ولكنه شديد الحذر، إلا أنه سيقع إن شاء الله تعالى.

قال الأمير:

- المهم أن يبقى أخونا "مسعود" مستعدًا ويقظًا؛ فقد يحصل أي شيء في أية لحظة.

قال المثلثم:

- نعم؛ هو نفسه يفكر معنا في طريقة لاستخلاص ما عند الخنزير.

قال الأمير بسرعة:

- المهم أن يكون شديد الحذر؛ فقد تهدم زلة صغيرة كل شيء.

- معك حق أخي الأمير، يسر الله الأمر على خير.

- آمين.

(٩١)

أما "مسعود-ألفونس"؛ فقد كان مستمرًا في عمله مع الضابط الذي كان يزداد ارتياحًا له يوميًا بعد يوم، وقد لاحظ أن الضابط متعكر المزاج بعد عودته من رحلته الغامضة التي لم يصطحبه فيها معه، بل وتكتم عليها كثيرًا، راقبه "مسعود-ألفونس" من طرف خفي، ثم صبَّ له كأس الشراب بهدوئه المعتاد، وقال بلطف:

- يبدو سيدي شارد البال منزعجًا؛ فهل قصّرتُ في شيء أدى إلى ذلك؟

تنهد "إدوارد" وقال باقتضاب:

- لا علاقة لك بالأمر يا "ألفونس".

قال "مسعود-ألفونس" بأدب:

- اغفر لي فضولي، لكن ربما خفف الحديث عنك همومك يا سيدي.

حدجه "إدوارد" بنظرات فاحصة، فخفض "مسعود-ألفونس" نظره إلى الأرض، وقال:

- أعتذر إن أزعجتك يا سيدي.

غمغم "إدوارد" وقد أغمض عينيه:

- سأرتاح قليلاً، يمكنك الانصراف.

مضى "مسعود-ألفونس" وهو يقول في نفسه:

- قاتلك الله أيها الصليبي!!

أما "إدوارد"؛ فقد كان يشعر فعلاً برغبة ملحة في الحديث مع هذا الشاب الذي يعجبه فيه إتقانه لعمله، وأدبه الجم، وما يبدو عليه من طيبة وبراءة، غير أنه كان يفكر إلى أي مدى يمكنه أن يثق به.

وراقبه جيداً طوال بقية اليوم واليوم التالي؛ فوجده يمارس روتين أعماله المعتاد، ويتحاشى طرح أي سؤال خارج هذا السياق؛ مما أعطاه شعوراً عميقاً بالارتياح؛ إذ يبدو أن "ألفونس" كان فعلاً يريد الاطمئنان عليه وحسب بأسئلته، ولو كان الأمر غير ذلك لَتَحَايَل عليه أو لَبَدَا عليه ما يريب، إلا أنه لا يبدو فضولياً أبداً!

لم يعرف "إدوارد" أن المجاهد "مسعوداً" يخطط بصبر لفكرة خطرت له، وصمم على تنفيذها!

يتبع

